

دور الدبلوماسية الدينية الجزائرية في بناء النفوذ في منطقة الساحل الافريقي

The Role of Algerian Religious Diplomacy in Building Influence in the Sahel Region

د/ بونوة نادية *

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر

nadia.bounoua@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2026/06/10

تاريخ القبول: 2026/05/24

تاريخ الارسال: 2026/03/13

ملخص:

تُعَدّ الدبلوماسية الدينية أحد الأبعاد الحديثة في السياسة الخارجية الجزائرية لبناء النفوذ في منطقة السحل الافريقي، حيث توظّف الجزائر تراثها الديني المعتدل المستند إلى المدرسة المالكية والعقيدة الأشعرية والتصوف السني كأداة لبناء جسور التعاون مع دول الساحل الإفريقي.

فمن خلال الزوايا، وهيئات الإرشاد، والتعليم الديني، وبرامج الحوار والتكوين، أسهمت الجزائر في دعم الاستقرار ونشر قيم التسامح ومحاربة التطرف، بما يعزّز التنمية البشرية والأمن الإقليمي.

كما أضحت الدبلوماسية الدينية الجزائرية أداة ناعمة تخدم المصالح الوطنية عبر تعزيز التنمية المشتركة، التضامن الإنساني، والتقارب الثقافي مع الجوار الإفريقي.

وتبرز هذه المقاربة كجزء من الاستراتيجية الجزائرية الجديدة للأمن والتنمية، القائمة على الدمج بين البعد الروحي والبعد التنموي في معالجة التحديات العابرة للحدود في منطقة الساحل.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية، الدبلوماسية الدينية، الجزائر، منطقة الساحل الإفريقي، النفوذ، التعاون الإقليمي.

* المؤلف المرسل: بونوة نادية

Abstract:

Religious diplomacy is one of the recent dimensions of Algerian foreign policy to build influence in the Sahel region, where the country relies on its moderate Islamic heritage rooted in the Maliki school, Ash'arite creed, and Sunni Sufism as a tool for fostering cooperation with Sahel countries.

Through religious institutions, Sufi orders, training programs, and interfaith dialogue, Algeria has promoted stability, tolerance, and counter-extremism efforts, contributing to human development and regional security.

Algerian religious diplomacy has thus become a soft-power instrument that supports national interests by enhancing shared development, humanitarian solidarity, and cultural rapprochement with its African neighbors.

This approach reflects Algeria's holistic strategy for security and development, integrating spiritual and developmental dimensions to address cross-border challenges in the Sahel region.

Keywords: Diplomacy, Religious Diplomacy, Algeria, Sahel Region, Influence, Regional Cooperation.

مقدمة:

تشهد منطقة الساحل الإفريقي تحولات جيوسياسية عميقة وتنافسًا متزايدًا للقوى العالمية الكبرى، مما دفع الجزائر إلى استغلال رصيدها الروحي كأداة لتعزيز التعاون الإقليمي وبناء النفوذ في إطار ما اصطلح عليه بالدبلوماسية الدينية، التي تُعدّ أحد المفاهيم الحديثة التي برزت مع نهاية الحرب الباردة في حقل العلاقات الدولية وتحولات النظام الدولي نحو الاهتمام بالعوامل الثقافية والرمزية في السياسة الخارجية، وفي هذا السياق برزت الجزائر كنموذج متميز في توظيف الدين كأداة للقوة الناعمة من خلال الدبلوماسية الدينية الجزائرية القائمة على المرجعية الدينية الوطنية المتمثلة في المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني.

وقد شكّل هذا النمط من الدبلوماسية أحد أهم روافد النفوذ الجزائري في منطقة الساحل الإفريقي ليس فقط في المجال الروحي والفكري بل أيضًا في المجالات التنموية

والإنسانية باعتباره آلية لتحقيق الأمن الإقليمي وبناء التعاون المشترك بين الجزائر ودول الجوار الإفريقي، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في دراسة أبعاد هذه الدبلوماسية وأدواتها، وإبراز دورها في تعزيز الحضور الجزائري كفاعل ديني وتنموي في محيطه الإقليمي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور الدبلوماسية الدينية الجزائرية في بناء النفوذ في منطقة الساحل الإفريقي، من خلال الإجابة عن إشكالية رئيسية هي: كيف توظف الجزائر دبلوماسيتها الدينية لتعزيز نفوذها وتأثيرها في منطقة الساحل الإفريقي؟، وما هي الآليات التي تركز عليها في ذلك؟

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لرصد الظاهرة، والمنهج المؤسسي لتحليل دور المؤسسات الدينية الجزائرية، إضافة إلى منهج دراسة الحالة لتتبع المبادرات الجزائرية في المنطقة.

وتتوزع الدراسة على خمسة محاور رئيسية: مفهوم الدبلوماسية الدينية، استخداماتها في العلاقات الدولية، ركائز الدبلوماسية الدينية الجزائرية، الدبلوماسية الدينية كمقاربة للتعاون مع دول الساحل، وأخيرا توظيف الجزائر لديبلوماسيتها الدينية لبناء النفوذ في المنطقة عبر المجالات المنية بذلك.

ويمكن التفصيل في هذه المحاور على النحو الآتي:

المحور الأول: مفهوم الدبلوماسية الدينية

يتفق الباحثون المتخصصون في العلاقات الدولية على أن الدبلوماسية تعد أداة رئيسية من أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية للدول، إلا أن التطور الحاصل في السياسة الدولية غير من وظيفتها ومن فاعليها وطرق ممارستها وهذا ما أدى إلى بروز أشكال جديدة من الدبلوماسية لعل من أبرزها ما اصطلح عليه مؤخرا بالدبلوماسية الدينية، وهذا ما يفرض التأصيل المفاهيمي لمصطلح الدبلوماسية الدينية ولكن قبل ذلك ينبغي الإشارة لمصطلح الدبلوماسية العامة على النحو التالي:

أولاً: تعريف الدبلوماسية

يقتضي الضبط الدقيق لمصطلح الدبلوماسية البحث في أصله اللغوي ثم معناه الاصطلاحي وهو ما سيتم تناوله فيما يلي:

أ-الأصل اللغوي لمصطلح الدبلوماسية:

مصطلح الدبلوماسية يقابله في اللغة الإنجليزية مصطلح Diplomacy الذي يعود إلى أصل يوناني، وهو مشتقة من لفظة Diploma المأخوذة من الفعل Diplom وتعني الوثيقة التي تصدر عن أصحاب السلطة والرؤساء السياسيين للمدن وتمنح حاملها امتيازات، ثم استخدمها الرومان بعد ذلك للإشارة إلى الوثيقة المطلوبة التي تطوى، حيث كانت المكاتبات الرسمية لديهم تنسخ على ألواح معدنية وتطوى بشكل خاص تُعطي حاملها امتيازات خاصة كجواز السفر أو المرور.¹

ب- التعريف الاصطلاحي لمصطلح الدبلوماسية:

لقد تعددت مساهمات الباحثين الذين حاولوا ضبط مصطلح الدبلوماسية، فيستخدمها البعض للدلالة على مجموعة الهيئات التي تتولى إدارة الشؤون الخارجية للدولة، ويستخدمها البعض الآخر كمرادف للسياسة الخارجية لدولة ما أو مجموعة من الدول اتجاه دولة أخرى، في حين يستخدمها آخرون للدلالة على نمط السلوك، فيطلق كلمة دبلوماسي كمرادف للباقة والكياسة التي يتحلى بها الإنسان في علاقاته الاجتماعية، كما تطلق على النشاطات التي يقوم بها أشخاص معينون تكلفهم حكوماتهم للقيام بمهام خارج بلادهم سواء بصورة دائمة أو مؤقتة.²

ومن الناحية الأكاديمية تعرّف الدبلوماسية بأنها: "مجموعة الآليات والوسائل الرسمية وغير الرسمية التي تعتمد عليها الدول والفاعلون الدوليون لإدارة علاقاتهم الخارجية، وحماية مصالحهم الوطنية، وتسوية النزاعات عبر التفاوض والحوار، مع استخدام أدوات القوة الناعمة والصلبة على حد سواء بعيداً عن اللجوء المباشر إلى العنف المسلح".³

وفي بعدها المؤسساتي تمارس الدبلوماسية عبر وزارات الخارجية والبعثات الدبلوماسية والممثلات الرسمية، لكنها تشمل أيضاً الدبلوماسية غير الرسمية التي ينخرط فيها الأكاديميون والمنظمات غير الحكومية والفاعلون الدينيون والثقافيون.⁴

وفي تفصيلات ضبط المصطلح قدّم الباحثون المتخصصون ما يمكن اعتباره تعريفات مرجعية للدبلوماسية، حيث عرفها هارولد نيكلسون بأنها: "إدارة العلاقات الدولية عبر المفاوضات، والوسيلة التي تسعى بها الدول لتحقيق أهداف سياستها الخارجية".

أمّا هنري كيسنجر فقد عرف الدبلوماسية بأنها: "التكيف بين المصالح المتعارضة عبر الحوار والتفاوض، بما يمنع اللجوء إلى القوة".

- في حين عرفها جوزيف ناي بأنها: "أحد مظاهر القوة الناعمة، حيث توظف الدولة مواردها الثقافية والقيمية لجذب الآخرين بدل إرغامهم"⁵.
- ومن هنا يمكن استنتاج أن الدبلوماسية تتضمن مجموعة من الأبعاد لعل من أبرزها:
- بعد وظيفي: ويشمل التفاوض والتمثيل وجمع المعلومات وحماية مصالح ورعايا دولة ما اتجاه بقية الدول.
 - بعد هيكلي: ويتمثل في جملة المؤسسات الدبلوماسية التي تستخدمها الدولة في علاقاتها مع غيرها من الدول من مثل الوزارات والسفارات والقنصليات والبعثات الدائمة لدى المنظمات الدولية ... إلخ.
 - بعد قانوني: فالدبلوماسية تُنظّمها مجموعة من الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لسنة 1961 واتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لسنة 1963.
 - بعد ثقافي ورمزي: لأن الدبلوماسية تعكس ثقافة الدولة وقيمها، وتستخدم كمنصة للقوة الناعمة⁶.

ثانيا: تعريف الدبلوماسية الدينية

يعتبر مصطلح الدبلوماسية الدينية من المصطلحات الدبلوماسية الحديثة التي برزت مع التحولات الدولية التي عرفها المجتمع الدولي بعد نهاية الحرب الباردة مع تصاعد دور الدين كفاعل مؤثر في العلاقات الدولية ودوره في حل النزاعات الدولية من جهة وتعزيز الأمن والسلم الدوليين من جهة ثانية، من هنا يبرز البحث في تأصيل هذا المصطلح ومحاولة ضبطه بدقة قدر الإمكان.

عند محاولة ضبط مصطلح الدبلوماسية الدينية يصطدم الباحثون باختلاف الزوايا التي يُنظر منها للمصطلح، فمن زاوية العلاقات الدولية تعرف الدبلوماسية الدينية بأنها: "مجموعة المبادرات والممارسات التي توظف الرموز الدينية، والزعامات الروحية، والمؤسسات الدينية، والقيم الإيمانية المشتركة لتعزيز أهداف السياسة الخارجية سواء في الوساطة الدبلوماسية أو في بناء شبكات التعاون العابر للحدود".

أما من زاوية القوة الناعمة فينظر إليها كجزء من القوة الناعمة، حيث يُستخدم الدين لتعزيز صورة الدولة وكسب الشرعية والقبول في المحيط الدولي دون اللجوء إلى الإكراه أو القوة العسكرية⁷.

في حين تعرف الدبلوماسية الدينية في إطار التعريف العام الشامل بأنها: "توظيف الدين ومؤسساته ورموزه وقيمه المشتركة كأداة في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية بهدف تعزيز التفاهم بين الشعوب، وحل النزاعات، وبناء السلم، ودعم الحوار بين الثقافات، ومواجهة التطرف والعنف".

وتعرّف الدكتورة هبة جمال الدين الدبلوماسية الدينية بأنها: "مسار من مسارات التفاوض التي تستهدف حل النزاع أو منع حدوثه من أجل بناء سلام ديني عالمي عبر الجمع بين القادة الروحيين والسياسة داخل آلية المسار الثاني للمفاوضات للتباحث حول القضايا الحساسة محل النزاع بهدف التوصل لفهم مشترك عبر التقارب بين الديان السماوية الثلاثة للقضاء على الاختلافات للوصول إلى متفق يقبله المجتمع".⁸

كما تُعرّف أيضا بأنها: "استخدام القيم والمؤسسات والقيادات الدينية كأدوات لبناء الجسور بين الدول أو المجتمعات أو الجماعات المتنازعة بهدف تعزيز الحوار ومنع الصراعات وتحقيق المصالح الوطنية أو العالمية أو تسهيل التعاون في قضايا مشتركة، وهي لا تقتصر على الجهود الرسمية للدول فحسب بل تشمل أيضا مبادرات المنظمات الدينية الدولية والمحلية والزعماء الدينيين والمجتمع المدني المتجذر في الإيمان".⁹

فالدبلوماسية الدينية إذاً تقوم على توظيف استراتيجي للرأسمال الديني الرمزي والمؤسسي لتحقيق أهداف سياسية أو إنسانية عبر قنوات غير تقليدية، وهي تزداد أهمية في عالم يشهد تصاعد مستمر للهويات الدينية، لكن نجاحها مرهون بتوازن دقيق بين الاحترام العقائدي والبراغماتية السياسية.¹⁰

وفي السياق الجزائري تعني الدبلوماسية الدينية: "جملة المبادرات الرسمية وغير الرسمية التي توظف المرجعية الدينية الوطنية، القائمة على الوسطية والاعتدال والانتماء المالك-الأشعري والتصوف السني كأداة من أدوات السياسة الخارجية، بهدف تعزيز التعاون الدولي، وبناء السلم المجتمعي والإقليمي، ومواجهة التطرف العنيف، خصوصاً في فضاء الساحل الإفريقي حيث تتداخل الأبعاد الأمنية والثقافية والدينية".

وتتمثل عناصر القوة في هذا التعريف في الأبعاد التالية:

- البعد الهوياتي: إبراز المرجعية المالكية-الأشعرية-الصوفية التي تشكل أساس الهوية الدينية الجزائرية.

- البعد الدبلوماسي: ربط الدين مباشرة بالسياسة الخارجية الجزائرية كأداة قوة ناعمة.

- البعد الأمني-الاستراتيجي: التركيز على دورها في مكافحة التطرف وتعزيز التعاون الدولي والمساهمة في حل النزاعات في منطقة الساحل.
- البعد التعاوني: إبراز قيم السلم والحوار لتعزيز الشراكات مع الدول الإفريقية.
- التكامل بين الرسمي وغير الرسمي: من خلال الجمع بين دور الدولة (وزارة الشؤون الخارجية ووزارة الشؤون الدينية) من جهة والزوايا والطرق الصوفية من جهة ثانية كفاعلين دينيين مؤثرين في هذا المجال.¹¹

المحور الثاني: استخدام الدبلوماسية الدينية في العلاقات الدولية

في عالم يتسم بتعدد العلاقات الدولية وازدياد حدة الصراعات الهوياتية تبرز الدبلوماسية الدينية كأداة استراتيجية مبتكرة تتعامل مع البعد الروحي والقيمي في العلاقات بين الأمم، وهي ليست بديلة عن الدبلوماسية السياسية في تقريب وجهات النظر لكن يمكن لها أن تكون موازية لها تمشي إلى جانبها ولا تلغيها وذلك لما للقيم الدينية من مكانة في نفوس الأفراد وتقاليده المجتمعات.

ومن المفارقات الغريبة أنه إذا كانت المعتقدات الدينية تصنع الخلافات وتذكي الحروب فإنها تتدخل لحلها وصناعة السلام أيضا، وإذا كان البعض يتمسك تعسفا بالرأي القائل بعدم المزج بين الديني والسياسي فإنه لا يمكن تناسي أن التداخل بين الاثنين قديم قدم المجتمعات البشرية ونشوءها، لذلك وجب على الديني والسياسي أن يلتقيا من منطلق واحد وغاية واحدة.

وظاهرة انتعاش الدين في عالم السياسة أصبحت تعمُّ العالم من جديد بعدما ظل بعد ظهور الدولة المدنية الحديثة خارج السلطة، تقول جيني لون "Jenny Lunn" بأن: "الدين والروحانية والإيمان قد عانت مطولا من قلة الاعتبار الممنهج في النظريات والقرارات السياسية والممارسات في ميدان التنمية، حتى وإن لاحظنا تغيرا ملحوظا إبان العشر سنوات الأخيرة".¹²

ويرى جون برايسون شان "John Bryson Chan" أنه: "يمكن للدين في القرن الواحد والعشرين أن يكون قوة تمكّن المصالحة والاستقرار السياسي أو إسفيننا يعزز الانقسام". ولهذا ليس من المستغرب استخدام قوى عظمى للدين في سياستها الخارجية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي ظل الدين ومازال حاضرا بقوة فيها، فالرئيس السابق بيل كلينتون شكّل لأول مرة في تاريخ الإدارة الأمريكية هيئة خاصة من عشرين شخصية فكرية

متخصصة لتقديم المشورة في الشؤون الدينية العالمية وتطوراتها، كما عمل على تأسيس المركز الدولي للدين والدبلوماسية سنة 1999، والذي كان يهدف إلى زيادة دور رجال الدين والعلمانيين في أنشطة صنع السلام، وكذا تقليص دور الدين كقوة دافعة للصراعات، وربط الاعتبارات الدينية بممارسة السياسة الدولية في دعم بناء السلام.¹³

وفي هذا السياق أصدر مجلس شيكاغو للشؤون الدولية في الولايات المتحدة الأمريكية تقريراً بجامعة جورج تاون بواشنطن في فيفري 2010 تحت عنوان: "إشراك المجتمعات الدينية في الخارج: ضرورة للسياسة الخارجية الأمريكية"، جاء فيه أن المجتمعات الدينية أصبحت تلعب دوراً رئيسياً في تعزيز حقوق الإنسان والسعي لتحقيق السلام في المناطق المضطربة من العالم، وسيقاس نجاح الدبلوماسية الأمريكية في العقد المقبل إلى حد كبير بقدرتها على التواصل مع مئات الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم الذين تحدّد هويتهم بالدين.

وتماشياً مع هذه التوجهات أنشأت إدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن سنة 2002 مركز المبادرات الدينية والمجتمعية والمعروف اليوم باسم مركز مبادرات الإيمان والفرص في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ثم أحدثت وزارة الخارجية في عهد الرئيس السابق باراك أوباما سنة 2013 مكتب الدين والشؤون العالمية، كما عقدت إدارة الرئيس دونالد ترامب قمة الأدلة حول المشاركة الدينية الاستراتيجية، وهو ما يدل على عزم الإدارات الأمريكية المتعاقبة على رفع مستوى المشاركة الدينية في السياسة الخارجية للدولة.¹⁴

واستخدام الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية لا يرتبط فقط بالولايات المتحدة الأمريكية، فالصراعات الطائفية والعرقية في مختلف مناطق العالم مثل الصراع السابق في منطقة البلقان في البوسنة والهرسك وإقليم كوسوفو، أو في الشرق الأوسط سواء في فلسطين أو في العراق أو في السودان وغيرها لا تخلو من عنصر ديني وهو الذي حتم على أطراف الصراع أو الوسطاء الدوليين اللجوء لاستخدام الدين كأداة لإحلال السلام أثناء المفاوضات.¹⁵

وتعود الأسس النظرية للدبلوماسية الدينية لمبررات فلسفية على اعتبار أن للدين بُعد إنساني مشترك يُعبّر عن تطلعات إنسانية جوهرية مثل السلام والعدالة والمساواة بين البشر، إضافة لقدرته على تجاوز الحدود السياسية الوطنية للدول من جهة، وللتحول في المفاهيم

الدبلوماسية من الدبلوماسية الحكومية البحتة إلى الدبلوماسية متعددة المسارات والاعتراف بالدين كعامل جيوسياسي وليس مجرد ظاهرة اجتماعية من جهة ثانية. وفي هذا الإطار تظهر مجالات مختلفة للعلاقات الدولية يمكن توظيف الدبلوماسية الدينية فيها مثل:

- حل النزاعات الدولية والوساطة: اعتماداً على الشرعية الأخلاقية للقادة الدينيين الذين يتمتعون بمصداقية أخلاقية تتجاوز الانتماءات السياسية، أو من خلال استغلال الوازع الديني لبناء الثقة في مراحل ما قبل التفاوض الرسمي.
- بناء السلام المستدام: في بناء المصالحة بعد النزاعات عبر آليات العدالة الانتقالية المستندة لقيم التسامح الديني، أو إعادة الإعمار المعنوي أثناء علاج الصدمات الجماعية عبر الخطاب الديني الإيجابي، أو حتى من خلال منع التطرف بتقديم قراءات معتدلة للنصوص الدينية.
- التعاون الإنساني والتنموي: الذي تقوم به الشبكات الدينية العالمية مثل الهلال الأحمر واللجنة الدولية للصليب الأحمر والمؤسسات الخيرية الإسلامية التي تستطيع الوصول للمناطق النائية التي تغيب فيها سلطة الدولة غالباً وتقديم المساعدات بكفاءة بسبب المعرفة المحلية والثقة المجتمعية.
- الحوار بين الحضارات: أو كما يسمى حوار الأديان وهو تفاعل ببناء وإيجابي بين أتباع الديانات المختلفة لتحقيق التفاهم المشترك وتعزيز التعايش السلمي ونبذ التعصب والكراهية والعمل معاً لمواجهة تحديات عالمية مثل الفقر وحماية البيئة، ويهدف إلى تجاوز الاختلافات لتعميق قيم السلام واحترام التنوع والبحث عن نقاط الاتفاق، مع التأكيد على أن الحوار لا يعني خلط الأديان أو التخلي عن الهوية الدينية بل هو تعاون لخدمة الإنسانية.
- الدفاع عن حقوق الإنسان: من خلال الدفاع عن الأقليات الدينية المختلفة في العالم عبر التحالفات الدينية العابرة للحدود، ومكافحة الاضطهاد باستخدام الخطاب الديني لدعم حقوق المضطهدين، وحماية الحرية الدينية كحق إنساني أساسي.¹⁶

المحور الثالث: ركائز الدبلوماسية الدينية الجزائرية

تتميز الدبلوماسية الدينية الجزائرية بعدة ركائز أساسية تعكس نهجاً معتدلاً وبناءً يرتكز على الهوية الإسلامية والخصوصية الوطنية من أبرز هذه الركائز ما يلي:

- المرجعية الدينية المعتدلة القائمة المدرسة الفقهية المالكية والعقيدة الأشعرية الصوفية المعتدلة كمرجعية أساسية والتي تعمل على تعزيز خطاب ديني وسطي يرفض التطرف

والغلو، والتركيز على قيم التسامح والتعايش السلمي والوسطية (الاعتدال) كأساس للخطاب الديني الداخلي والخارجي.¹⁷

- **توظيف الزوايا والطرق الصوفية:** حيث تستفيد الجزائر من الروابط التاريخية والدينية المشتركة مع دول الساحل والتي تمثلها مجموعة من الزوايا والطرق الصوفية الجزائرية التي تملك امتداد ديمغرافي واسع في هذه الدول يضم عشرات الملايين من المريدين والأتباع (ومن أهمها الزاوية التيجانية التي يوجد مقرها في عين ماضي بولاية الأغواط والتي تعد أكبر الطرق الصوفية من حيث عدد مريديها وأتباعها البالغ عددهم قرابة 500 مليون، وينتشر مريدوها في تشاد والنيجر ونيجيريا وبشكل أقل في السينغال ومالي، وتعتبر نيجيريا أكبر معقل لأتباع الطريقة التيجانية التي تحوي وحدها نحو 80 مليون مريد)، وتستخدمها كقنوات للتأثير وتوسيع الشبكات الدينية والاجتماعية، وهي بذلك مكملة للدبلوماسية الرسمية في تحقيق أهداف الدولة.¹⁸

- **محاربة التطرف الديني والإرهاب:** فالجزائر تعمل على توظيف تجربتها في مكافحة الإرهاب على ضوء ما شهدته خلال العشرية السوداء لتقديم نموذج في المصالحة الوطنية وإعادة إدماج المقاتلين السابقين، إضافة إلى تقديم مقاربة أمنية وفكرية متكاملة لمكافحة التطرف مع التركيز على الجانب الوقائي والتوعوي، دون أغفال مسألة التعاون الدولي لمكافحة خطاب الكراهية وتمويل الإرهاب.¹⁹

- **تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات:** فالجزائر تدعم حوار الأديان كمكون أساسي في سياستها الخارجية عبر المشاركة في مؤتمرات عالمية حول التسامح الديني خاصة بين العالم الإسلامي والغرب، وتظهر مشاركة الجزائر في هذه الفعاليات والتنظيمات المحلية التزامها بترسيخ ثقافة السلام والتعايش عبر تأصيل المفاهيم الدينية في خدمة الإنسانية وتأطير الشأن الديني في إطار مؤسساتي وقانوني يضمن الاحترام المتبادل وحرية المعتقد.

- **الاستقلالية وعدم الانحياز:** من خلال محافظة الجزائر على مواقف مستقلة في القضايا الدينية والدولية بعيداً عن التحالفات أو الضغوط التي تتعارض مع مبادئها الوطنية والدينية، إضافة إلى رفض التدخل الخارجي في الشؤون الدينية الداخلية للدول.

- **دعم القضايا العادلة وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها:** خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية من خلال إعطاء أولوية دبلوماسية للدفاع عن القضية الفلسطينية وشرعية حقوق الشعب الفلسطيني، مستندة إلى مبادئ الدين الإسلامي والشرعية الدولية،

واستخدام المنابر الدولية والدينية للتنديد بالانتهاكات والدفاع عن المقدسات الإسلامية في فلسطين.

- دعم الاستقرار والمصالحة في المنطقة: والمساهمة في جهود الوساطة والمصالحة في الدول المجاورة (مثل ليبيا ومالي) مستفيدةً من مكانتها الدينية والمعنوية ومصادقتها، وتعزيز دور العلماء والمؤسسات الدينية في نشر ثقافة السلام وحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية، وتشجيع الحوار بين الأطراف المتنازعة.²⁰

- المؤسساتية والهيئات الرسمية: بالاعتماد على مؤسسات رسمية مثل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، والمجلس الإسلامي الأعلى، ومؤسسات أكاديمية مثل جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة لنشر الفكر الإسلامي المعتدل وتدريب الأئمة والدعاة الأجانب، وبرامج التبادل العلمي مع الدول الأفريقية لتعزيز التعليم الديني المتوازن.

- الاستفادة من الرمزية التاريخية: فالثورة الجزائرية أحدثت تأثيراً هائلاً على حركات التحرر العالمية وأصبحت نموذجاً للكفاح المسلح والسياسي ضد الاستعمار، وألهمت الشعوب الأفريقية والآسيوية في نضالها ودعمتها دبلوماسياً واقتصادياً مما ساهم في تسريع وتيرة تصفية الاستعمار عالمياً وتغيير المواقف الدولية تجاه حق تقرير المصير، فالثورة الجزائرية لم تكن مجرد صراع من أجل الاستقلال بل كانت محفزاً عالمياً أعاد تشكيل خريطة العالم السياسية وكرس مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وهذا ما ساهم في تعزيز مصادقتها في العالم العربي والإسلامي ودول الجوار الإفريقي.²¹

المحور الرابع: الدبلوماسية الدينية كمقاربة للتعاون

بين الجزائر ودول الساحل الافريقي

إن التحديات التي تواجهها الجزائر في محيطها الإقليمي خاصة فيما يتعلق بدول الساحل الإفريقي والأدوار المطلوب منها القيام بها في مجالات تعزيز التعاون الدولي وحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية ومكافحة الإرهاب في المنطقة فرض عليها الاعتماد على مجموعة متنوعة من المقاربات الدبلوماسية لعل من أبرزها المقاربة السياسية والمقاربة الأمنية والمقاربة التنموية ثم أخيراً المقاربة الدينية أو الروحية.²²

لكن الملاحظ أن الجزائر لم تُولِ غداة الاستقلال أي أهمية تذكر للدبلوماسية الدينية نظراً للسياق التاريخي الذي عرفته فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، والتي امتازت بالحرب الباردة بين الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلف وارسو

بقيادة الاتحاد السوفيتي سابقا، لذلك كان اهتمام الدبلوماسية الجزائرية منصبا أكثر على حركة عدم الانحياز والتعاون جنوب-جنوب وقضايا الأمة العربية وعلى رأسها المسألة الفلسطينية.

إلا أن استفحال الظاهرة الدينية في ثمانينيات القرن الماضي بسبب الثورة الإسلامية في إيران والجهاد الأفغاني وتنامي وبروز الحركات الإسلامية في الجزائر إلى العلن، دفعا البلاد إلى الاهتمام أكثر بالأمن الديني وبالدبلوماسية الدينية قصد احتواء الظاهرة الدينية في الجزائر نظرا لتداخلها وتشابكها مع منظمات دينية عابرة للدول كما هو عليه الحال مع حركة الإخوان المسلمين العالمية، وجماعة التبليغ والدعوة، والحركة الوهابية التي عرفت انتشارا كبيرا في المنطقة العربية بل في العالم الإسلامي كافة.²³

المحور الخامس: توظيف الدبلوماسية الدينية في الجزائر

لبناء النفوذ في منطقة الساحل

في خضم التحولات الجيوسياسية العميقة التي تشهدها منطقة الساحل الإفريقي، وتنامي تنافس القوى العالمية الكبرى في المنطقة أصبحت هناك حاجة متزايدة للجزائر من أجل استغلال رصيدها الروحي كأداة لتعزيز التعاون الإقليمي، فالدبلوماسية الدينية لم تعد مجرد رد فعل على التهديدات الإرهابية، بل تتأسس كخيار إستراتيجي طويل المدى يهدف إلى تعزيز التعاون الإقليمي وبناء شراكات متكافئة تقوم على احترام السيادات الوطنية وتأمين المشترك الروحي والثقافي بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي وذلك في مجالات مختلفة يمكن الإشارة إلى بعض جوانبها فيما يلي:

أولا: توظيف الدبلوماسية الدينية الجزائرية في مكافحة الإرهاب

في منطقة الساحل الإفريقي

تعد منطقة الساحل الإفريقي واحدة من أكثر المناطق هشاشة على المستوى العالمي، حيث تتقاطع فيها تحديات بناء الدولة، والصراعات الإثنية، والهشاشة الاقتصادية، مع انتشار الجريمة المنظمة العابرة للحدود والإرهاب، وفي هذا السياق برزت الجزائر كلاعب رئيسي في معادلة الأمن والاستقرار الإقليمي، ليس فقط بحكم امتدادها الجغرافي (حدود تمتد لأكثر من 2700 كلم مع دول الساحل الإفريقي)، بل أيضاً بحكم ثقلها التاريخي والديني والروحي في المنطقة.

ومنذ العشرية السوداء (1992-2002) راكمت الجزائر خبرة فريدة في مجال مكافحة الإرهاب التي لم تقتصر على البعد الأمني والعسكري فقط، بل شملت مقاربات فكرية ودينية لتفكيك البنى الأيديولوجية للجماعات المتطرفة، ومع تصاعد التهديدات الإرهابية في الساحل خلال العقدین الأخيرین سعت الجزائر إلى تصدير هذه الخبرة عبر ما بات يُعرف بالدبلوماسية الدينية عبر توظيف التراث الديني الصوفي المعتدل والاستثمار في شبكات الطرق الصوفية العابرة للحدود، والتي تهدف من خلالها لتحسين المجتمعات في منطقة الساحل من الخطاب المتطرف وتجفيف منابع الإرهاب الفكرية.²⁴

وقد توجهت الجزائر إلى توظيف الدبلوماسية الدينية في مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل بفعل مجموعة من العوامل منها:

- إدراك محدودية المقاربة الأمنية: يشير الخبراء والمتخصصون في الشأن الإفريقي إلى أن المقاربات التقليدية لم تعد تنفع لوحدها لمحاربة التطرف والإرهاب، بل لا بد من الوازع الديني لمعالجة هذه الآفة من جذورها، وقد شكل فشل التدخل العسكري الأجنبي في الساحل وخاصة الوجود الفرنسي في مالي وبوركينا فاسو دافعاً إضافياً للبحث عن حلول إفريقية تستند إلى الخصوصيات الثقافية والدينية للمنطقة.

- الخطر الوجودي الممتد: تنظر الجزائر إلى منطقة الساحل باعتبارها عمقها الاستراتيجي، وأي انهيار أمني أو سياسي في هذه الدول يُعد تهديداً مباشراً للأمن القومي الجزائري، وقد حذرت العديد من التقارير من أن ضعف الأداء السياسي وانتشار الجريمة والأشكال الجديدة للعنف البنيوي في الساحل يشكل تهديدات صلبة وليّنة يمكن تصديرها للجزائر.

- تنامي النفوذ الأيديولوجي الوهابي: تشير الدراسات الأكاديمية إلى أن جزءاً من التطرف في الساحل يعود إلى توظيف بعض الحكومات والتيارات للدين في نشر أفكار التطوير وتأطير المتطرفين فكرياً ومادياً لخدمة أجندات سياسية على غرار ما تفعله الحركة الوهابية، وفي مواجهة هذا المد عملت الجزائر على توظيف الدين ذاته لمحاربة آفة التطرف من خلال استخدام ودعم الحركات الدينية المعتدلة.²⁵

وتوظف الجزائر دبلوماسية دينية كأحد أبرز أدوات القوة الناعمة في مقاربتها لمكافحة الإرهاب والتطرف العنيف في منطقة الساحل الإفريقي عبر مجموعة من الآليات منها:

- إنشاء أطر تعاون دائمة: ونذكر هنا على سبيل المثال تأسيس رابطة علماء وأئمة ودعاة الساحل و الاتحاد العالمي للتصوف، فبتاريخ 29 جانفي سنة 2013 وبمبادرة جزائرية تمّ

الإعلان عن تأسيس رابطة علماء وأئمة ودعاة الساحل، والتي تضم علماء من الجزائر وموريتانيا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو، وهي الدول المؤسسة للرابطة، فيما انضمت إليها فيما بعد كل من تشاد ونيجيريا، وتهدف الرابطة إلى مواجهة التطرف والغلو الذي أصاب الكثير من شباب الأمة الإسلامية، كما تهدف إلى محاربة التيارات الفكرية المنحرفة عن جادة الصواب والقيم الإسلامية السمحة، والدفع نحو السلم والاستقرار والوئام والأمن الفكري من الانحرافات والخروج عن ملة الجماعة، وقد لعبت الرابطة دورا فعالا في استتباب الأمن وتجفيف منابع العمل المسلح خاصة بمنطقة شمال مالي والساحل عموما، إذ دعت مرارا التنظيمات المسلحة المتطرفة إلى التوبة ووضع السلاح وتجنّب المنطقة الانفلات الأمني والفوضى.²⁶

كما استطاعت الجزائر تجنيد عدّة طرق صوفية عبر العالم الإسلامي لمحاربة التطرف الديني والفكر التكفيري، وذلك من خلال تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف واختيار الجزائر رئيسة له من قبل المشاركين، حيث تمّ انتخاب المرحوم الدكتور عمر محمود شعلال الذي كان رئيس الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية رئيسا لهذه المنظمة الدينية العالمية، وقد حدث ذلك إثر تنظيم المؤتمر العالمي الأول للتصوف بمدينة مستغانم الجزائرية يوم 20 مايو 2016، حيث حضرها ممثلي الطرق الصوفية بالجزائر ومن أربعين بلدا إسلاميا إضافة إلى ممثلي الجاليات الإسلامية من عشرة دول.

ومن بين وصايا المؤتمر الذي دامت أشغاله ثلاثة أيام تأسيس أكاديمية التربية الصوفية وتأسيس وإدارة موقع على شبكة الانترنت ينشر الفكر الإسلامي الصحيح والتربية الروحية السليمة، وتكليف لجنة من الفقهاء المتخصصين بمراجعة الموروث في كل مجالات التصوف وعرضه على ميزان الكتاب والسنة وتنقيته من شوائب ما يخالفهما، والعمل على تصحيح المفاهيم والمحافظة على نقاء الفقه الصحيح وأصالته وتوجيه السلوك حتى يكون سلوكا يجسد القرآن قولاً وفعلاً وعلى هدي السنة النبوية²⁷.

- استضافة الندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة: شكلت الندوة العلمية رفيعة المستوى حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، التي نظمها المجلس الإسلامي الأعلى بالتعاون مع رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل نمودجا بارزاً لهذه الآلية، أين حضر الندوة وفود من 11 دولة إفريقية ومسؤولون سامون يتقدمهم رئيس المجلس الشعبي الوطني وعميد جامع الجزائر والخليفة العام للطريقة التيجانية.

- توظيف الطرق الصوفية العابرة للحدود: فالطرق الصوفية وخاصة الطريقة التيجانية والطريقة القادرية الكنتية تمثل العمود الفقري للدبلوماسية الدينية الجزائرية في الساحل، ويتم توظيف هذه الشبكات الروحية من خلال:
- إبراز مساهمة الطرق الصوفية في توعية ساكنة الساحل بمخاطر الإرهاب .
- تأطير الشباب وحمايتهم من استقطاب الجماعات المتطرفة .
- تقديم نموذج إسلامي وسطي قائم على التسامح والمحبة.²⁸
- تحصين المجتمعات المحلية: فالجزائر تدرك أن الجماعات الإرهابية تستغل الظروف الصعبة لساكنة منطقة الساحل التي تعاني من الفقر وشح المواد الغذائية وتبعات استفحال ظاهرة الجفاف، الأمر الذي جعل سكانها صيداً سهلاً للجماعات المتطرفة، لذلك تركز الدبلوماسية الدينية الجزائرية على المجموعات المحلية للمشاركة الجماعية في مكافحة الظاهرة مع التأكيد على دور زعماء المجتمعات المحلية والزعماء الدينيين في هذه المعركة.
- تكوين الأئمة والعلماء: تعمل الجزائر عبر رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل على إيلاء الأهمية اللازمة للأئمة ولرجال الدين لمواجهة التطرف والإرهاب، ويعد تكوين الأئمة وتأهيلهم علمياً ومنهجياً إحدى الركائز الأساسية لنشر الفكر الوسطي وتفكيك الخطاب الديني المتطرف.

ثانياً: توظيف الدبلوماسية الدينية الجزائرية في دعم الاستقرار السياسي

والأمني في منطقة الساحل

تُعدّ منطقة الساحل الإفريقي واحدة من أكثر المناطق هشاشة واضطراباً في القارة الإفريقية، إذ تتشابك فيها أزمات سياسية متراكمة، ونزاعات مسلحة متعددة الأطراف، وتهديدات إرهابية متصاعدة، ونزاعات عرقية، وأزمات إنسانية وتنموية متفاقمة، هذه الأوضاع جعلت الاستقرار في الساحل هدفاً استراتيجياً للدول الإقليمية، وفي مقدمتها الجزائر، التي تبنت مقاربة شاملة في سياستها الخارجية تقوم على الجمع بين البعد الأمني الصلب والدبلوماسية الناعمة، ومن بين أدوات هذه القوة الناعمة برزت الدبلوماسية الدينية كآلية جديدة توظف الخطاب الديني المعتدل والتعاون الروحي المشترك من أجل ترسيخ الاستقرار السياسي والأمني في منطقة الساحل، في ظل اعتبار الجزائر طرف محوري في معادلة الأمن والاستقرار بالساحل، ليس فقط بحكم الامتداد الجغرافي أو الثقل الاقتصادي بل بحكم رصيدها التاريخي والروحي العابر للحدود، وقد استندت المقاربة الجزائرية إلى قناة

راسخة مفادها عدم كفاية الحلول الأمنية والعسكرية وحدها، وضرورة الاستناد إلى مقارنة متعددة الأبعاد يكون فيها البعد الديني والروحي عنصراً أساسياً.²⁹

ومن هذا المنطلق تعمل الدبلوماسية الدينية الجزائرية على دعم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة الساحل من خلال مجموعة من الآليات منها:

- تعزيز شرعية الدول ومؤسساتها: تعمل الدبلوماسية الدينية الجزائرية على دعم شرعية الدول الوطنية في الساحل عبر تحصين المجتمعات من خطابات الجماعات المسلحة التي تسعى إلى تقويض الدولة، وتمكين المرجعية الدينية الأصيلة من مواجهة الخطابات المتطرفة مما يساهم في تعزيز سلطة الدولة وهيبته.
- ترميم النسيج الاجتماعي: توصف الدبلوماسية الدينية بأنها أداة متممة للجهد الرسمي لمعالجة النزاعات وترميم النسيج الاجتماعي، وهي تعمل على رآب الصدوع المجتمعية التي تستغلها الجماعات المتطرفة وإعادة بناء الثقة بين مكونات المجتمعات المحلية.
- دعم الحوار الوطني والمصالحة: تشكل الدبلوماسية الدينية رافعة لجهود المصالحة الوطنية في دول الساحل، عبر توفير منصات للحوار بين الفرقاء السياسيين والمجتمعيين، وتوظيف مصداقية القيادات الدينية في تقريب وجهات النظر.
- تحصين الشباب: من خلال العمل على توظيف الشباب والعنصر النسوي من أجل تحصين المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار، إلى جانب تمكين القادة الدينيين من أدوات التواصل الحديثة لضمان وصول رسالة السلم والوسطية إلى الشباب بفعالية.³⁰
- وفي إطار توظيف الجزائر للدبلوماسية الدينية من أجل دعم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة الساحل يمكن الإشارة لاتفاق الجزائر للسلام والمصالحة في مالي سنة 2015 الذي استخدمت فيه الجانب الجزائري خطاباً دينياً وسطياً لتقريب وجهات النظر بين الحكومة والفصائل المسلحة المتمردة في مالي.

ثالثاً: توظيف الدبلوماسية الدينية الجزائرية لتعزيز التعاون

الإقليمي مع دول الساحل

كانت الجزائر تعتمد في إدارة علاقاتها مع دول الساحل الافريقي على المقاربات الأمنية والسياسية، إلا أنها تبنت خلال السنوات الأخيرة مقاربة جديدة تقوم على توظيف الدين لتعزيز التعاون الدولي مع هذه الدول قوامها الدبلوماسية الدينية التي لم تصبح مجرد أداة

لمكافحة التطرف والإرهاب بل آلية استراتيجية شاملة لتعزيز التعاون الإقليمي وبناء الشراكات المستدامة، وذلك في مجالات مختلفة يمكن الإشارة إلى بعضها على النحو الآتي:

- في المجال الأمني: ساهمت الدبلوماسية الدينية في دعم الجهود الأمنية من خلال الوقاية من التطرف العنيف عبر خطاب ديني مشترك، وتعزيز الثقة السياسية بين الجزائر وشركائها في الساحل، وتخفيف حدة الانقسامات المذهبية التي تستغلها الجماعات الإرهابية.
- في المجال الثقافي والاجتماعي: من خلال تشجيع برامج التبادل الثقافي والديني، وإرسال بعثات دعوية وتعليمية لتدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام الوسطي.
- في المجال الدبلوماسي والسياسي: أصبحت الجزائر بفضل دبلوماسيتها الدينية فاعلاً مقبولاً ووسيطاً موثوقاً في النزاعات داخل الساحل مثل أزمتي مالي والنيجر، إذ يُنظر إليها كقوة إقليمية ذات مشروع سلام ديني وثقافي وليس فقط أمني.³¹
- الدبلوماسية الدينية كمكمل للدبلوماسية السياسية: من خلال الجمع بين الخطاب الديني والجهد السياسي تعمل الجزائر على تعزيز الثقة المتبادلة مع دول الساحل، وبناء صورة دولة مسؤولة روحياً وأخلاقياً في القارة، ومواجهة التغلغل الثقافي والديني الخارجي الذي يسعى للتأثير السلبي في المنطقة.³²

رابعاً: توظيف الدبلوماسية الدينية الجزائرية لحل النزاعات

في منطقة الساحل الافريقي

تُعد منطقة الساحل الإفريقي من أكثر المناطق اضطراباً في القارة السمراء نتيجة تداخل العوامل الأمنية، الاقتصادية، والسياسية حيث تتقاطع فيها نزاعات حدودية، وصراعات هوياتية وحروب أهلية وأزمات إنسانية متفاقمة إضافة إلى انتشار الجماعات الإرهابية العابرة للحدود، أمام هذه الأوضاع برزت الجزائر كفاعل محوري في محاولات لحل النزاعات وبناء السلام في المنطقة مستندةً إلى أدواتها الدبلوماسية التقليدية إلى جانب الدبلوماسية الدينية التي تُعد إحدى أبرز أدوات القوة الناعمة الجزائرية كإحدى المقاربات التي تجمع بين البعد الروحي والأدوات الدبلوماسية بهدف معالجة جذور النزاعات وليس فقط إدارة أعراضها وذلك من خلال مجموعة من الآليات من أبرزها: تخفيف التوترات العقائدية والطائفية، وإعادة بناء الثقة بين الجماعات المتنازعة، وتقديم وساطات ذات طابع روحي وأخلاقي أكثر قبولاً من الوساطات السياسية، ودعم المصالحات الوطنية من خلال الدعوة إلى التسامح.³³

وهنا يمكن الإشارة إلى النجاحات المحققة في هذا المجال لعل من أبرزها: استعادة الاستقرار النسبي في شمال مالي بعد اتفاق الجزائر لسنة 2015، وتراجع النشاط الدعوي المتطرف في بعض مناطق الساحل بفضل التنسيق الديني الإقليمي، وتحسين صورة الجزائر كوسيط روحي وسياسي موثوق لدى حكومات وشعوب الساحل.

خامسا: البعد التنموي والإنساني للدبلوماسية الدينية الجزائرية

في منطقة الساحل الافريقي

تواجه منطقة الساحل الإفريقي تحديات بنيوية مركبة تجمع بين الهشاشة الاقتصادية وضعف البنى التحتية والأزمات الإنسانية مع تنامي التطرف الديني وانتشار الإرهاب، وقد أدت هذه العوامل إلى تعطيل جهود التنمية وتفكك النسيج الاجتماعي في عدد من دول المنطقة، ومن هنا تظهر الدبلوماسية الدينية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي ليست مجرد وسيلة لمكافحة التطرف أو تعزيز التعاون السياسي والأمني فقط، وإنما تحاول التأسيس لمقاربة تنموية إنسانية شاملة تضع الإنسان في جوهر اهتماماتها، فهي تتضمن أيضاً أبعاداً اجتماعية وتنموية وإنسانية تهدف إلى دعم الاستقرار وبناء القدرات البشرية في دول الساحل، وهذا ما عبر عنه رئيس رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل الشيخ أبوكر والار بقوله أن الدبلوماسية الجزائرية دبلوماسية شاملة وتشمل الأبعاد المتعلقة بالأمن والتنمية والروحانيات، وكلها تهدف إلى تحقيق الأمن والازدهار لمنطقتنا، وهي تجعل ازدهار المجتمعات هدفاً استراتيجياً وليس مجرد خلفية للجهود الأمنية.³⁴

ويظهر البعد التنموي والإنساني للدبلوماسية الدينية الجزائرية في منطقة الساحل

الإفريقي من خلال مجموعة من المظاهر يمكن الإشارة إلى بعضها على النحو التالي:

- تعزيز التنمية كهدف صريح للدبلوماسية الدينية: حيث يعلن الأمين العام لرابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل السيد لخميسي بزّاز أن الجزائر تسعى عبر دبلوماسيتها الدينية إلى تعزيز تنمية القارة الإفريقية والدفاع عن مكاسبها، وهذا الربط المباشر بين الدبلوماسية الدينية والتنمية يعيد صياغة المفهوم من حيث أن الأمر لم يعد يتعلق بمكافحة التطرف فقط بل ببناء مشروع تنموي شامل للقارة.

- معالجة ظاهرة التطرف من مختلف الزوايا بما فيها التنمية: فالتجربة الجزائرية تظهر كواحدة من التجارب الرائدة في المنطقة وفي العالم من حيث كونها لا تكتفي فقط برصد

المشكلة وإنما تهتم أيضا بمعالجتها من مختلف الزوايا بما في ذلك الجانب المتعلق بالتنمية، وهذا الارتباط يعكس قناعة راسخة بأن الأمن والتنمية وجهان لعملة واحدة.³⁵

- الدعم السياسي والدبلوماسي للقضايا التنموية: فقد صرح ممثل النيجر في رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل السيد إبراهيم موسى إسماعيل أن الجزائر تقدم دعماً فعلياً لدول الساحل في المحافل الدولية من خلال رفض التدخل العسكري والدعوة إلى الحل السلمي للنزاعات، هذا الدعم السياسي يحمي الدول الهشة من استنزاف مواردها في صراعات عسكرية ويوجه هذه الموارد نحو التنمية.

- المساعدات الإنسانية والتضامنية: فالجزائر تقدم دورياً مساعدات إنسانية إلى مالي والنيجر وتشاد خاصة أثناء الكوارث الطبيعية تشمل إرسال قوافل غذائية وطبية، واستقبال جرحى النزاعات في المستشفيات الجزائرية، وتمويل مشاريع صغيرة للنساء والشباب عبر جمعيات دينية جزائرية، هذه الأعمال تمثل وجهاً عملياً للدبلوماسية الدينية التي تدمج البعد الإنساني بالفعل الميداني.

- المبادرات التعليمية والثقافية: فالجزائر تدعم إنشاء مدارس قرآنية وثقافية في منطقة الساحل الإفريقي بإشراف مشترك وتوفر منحاً دراسية لطلبة المنطقة للدراسة في الجامعات والمعاهد الجزائرية، والهدف هو بناء نخب دينية معتدلة ومثقفة قادرة على قيادة التنمية في بلدانها.³⁶

الخاتمة:

يوماً بعد يوم تتزايد الحاجة في هذا العالم المرتبك إلى أصوات عاقلة ومبادرات بناءة تدعم الحوار والتواصل الإنسانيين، وتمثل الدبلوماسية الدينية أحد الروافد الحيوية لترسيخ قيم نبيلة تستحضر المشترك الإنساني لمواجهة تحديات تهدد الجميع.

ومن هنا تظهر التجربة الجزائرية أن بناء النفوذ في منطقة الساحل لا يمكن أن يتحقق بالقوة العسكرية وحدها، بل يتطلب مقاربة شاملة تمزج بين البعد الأمني والديني والثقافي، وأن الدبلوماسية الدينية تمثل رافعة استراتيجية ذات قيمة مضافة عالية في التعامل مع تعقيدات منطقة الساحل، إنها لا تسعى فقط لمواجهة التطرف بل لبناء جسور ثقة وتعاون قائمة على أساس روعي وثقافي مشترك رغم التحديات الجسام، واستمرار الجزائر في تطوير أدوات هذه الدبلوماسية وتكاملها مع المقاربات الأخرى مع التركيز على الشراكة الفعلية مع دول الساحل ودعم مؤسساتها المحلية يمكن أن يجعل منها عاملاً محورياً في تعزيز السلم

والأمن والاستقرار في هذه المنطقة الحيوية، ونجاح هذه الدبلوماسية ليس ضماناً فورياً للأمن ولكنه استثمار ضروري وطويل الأمد في بناء مناعة مجتمعية ضد التطرف وترسيخ أسس التعاون الإقليمي المستدام.

ولتعزيز دور الدبلوماسية الدينية الجزائرية يمكن اقتراح التوصيات التالية:

- التكامل مع الدبلوماسية التقليدية والتنمية: يجب أن تكون الدبلوماسية الدينية جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية أوسع تشمل الدبلوماسية السياسية والأمنية والتنمية من أجل دعم المشاريع التنموية في المناطق الهشة لتعزيز الجهود الإقليمية المرتبطة بتحقيق التنمية ومكافحة التطرف والإرهاب
- تعزيز الشراكة مع المؤسسات الدينية المحلية: من خلال التركيز على بناء قدرات ودعم المؤسسات الدينية المحلية الفاعلة والموثوقة في دول الساحل وليس فقط التركيز على استقطاب الأفراد.
- الاستثمار في التعليم الديني الوسطي: بالعمل على زيادة عدد المنح الدراسية وتطوير برامج تكوينية متخصصة ومكثفة للأئمة والدعاة والقضاة من دول الساحل مع التركيز على الجانب العملي والتطبيقي.
- تعزيز علاقات التعاون الثنائية ومتعددة الأطراف مع دول المنطقة من أجل ترسيخ الدبلوماسية الدينية وتجسيد اتفاقيات التعاون والبرامج التنفيذية المنبثقة على هذا التعاون وكذا توسيعه في كافة المجالات لا سيما المجال الديني.
- اعتماد برامج تكوينية تضمن تأهيل أئمة ودعاة قادرين على التواصل بفاعلية مع الشعوب الإفريقية بلغاتها المحلية.
- توظيف وسائل الإعلام والفضاء الرقمي: بتطوير استراتيجية إعلامية قوية باللغات المحلية (الهوسا، الفولاني...) تستهدف جمهور دول الساحل بشكل مباشر عبر الإذاعات والمنصات الرقمية لنشر الخطاب الوسطي ودحض أفكار التطرف.
- تعزيز التنسيق الإقليمي: بالعمل بشكل وثيق مع المنظمات الإقليمية (الاتحاد الإفريقي، مجموعة دول الساحل) لخلق تنسيق إقليمي في مجالات التنمية ودعم الاستقرار ومكافحة التطرف عبر الخطاب الديني.

- التركيز على الشباب والمرأة: من خلال تصميم برامج خاصة تستهدف الشباب والمرأة (كعنصر فاعل في التماسك الأسري والمجتمعي) باعتبارهما حاسمين في بناء مجتمعات مستقرة ومقاومة للتطرف.
- ترقية المناطق الحدودية المشتركة بين الجزائر ودول الساحل والتي عملت على صياغة محاور التعاون الكبرى في مجال الشؤون الدينية والأوقاف.

الهوامش:

- ¹ إسماعيل صبري مقلد، الدبلوماسية وفن التفاوض، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2008، ص 15.
- ² عمر بن موسى، مدخل إلى العلاقات الدولية والدبلوماسية، دار هومة، الجزائر، 2015، ص 98.
- ³ محمد بريس، الدبلوماسية الجزائرية: النشأة والتطور، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2020، ص 22.
- ⁴ Adam Watson, **Diplomacy: The Dialogue Between States**, Routledge, London, 1982, p. 11.
- ⁵ Joseph Nye, **Soft Power: The Means to Success in World Politics**, Public Affairs, New York, 2004, p. 8.
- ⁶ دوجلاس جونستون، الدين والدبلوماسية: مفترق طرق السلام، ترجمة: مركز الدراسات الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005، ص 34.
- ⁷ علي الدين هلال، القوة الناعمة والسياسة الخارجية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2010، ص 58.
- ⁸ هبة جمال الدين، الدبلوماسية الدينية في الشرق الأوسط: دراسة حالة الفاتيكان وإيران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2019، ص 45.
- ⁹ محمد المشطة، الدين والسياسة في العلاقات الدولية: قراءة في المفاهيم والنماذج، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016، ص 72.
- ¹⁰ هبة جمال الدين، مرجع سابق، ص 47.
- ¹¹ المجلس الإسلامي الأعلى، ندوة علمية حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ¹² Jenny Lunn, "The Role of Religion in Development Cooperation", **Development in Practice**, Vol. 19, No. 6, 2009, p. 782.
- ¹³ عبد السلام الزينة، الدبلوماسية الدينية كآلية لحل الصراعات السياسية بين الدول والجماعات، مجلة اتجاهات سياسية، المركز الديمقراطي العربي، عدد 16، سبتمبر 2021، ص 160-161.
- ¹⁴ نفس المرجع السابق، ص 161-162.
- ¹⁵ Brian J. Adams, "Faith-Based Diplomacy: A New Tool for Conflict Prevention", **Harvard International Review**, Vol. 34, No. 2, 2012, p. 42.
- ¹⁶ محمد السيد سليم، "الحوار بين الأديان كأداة للدبلوماسية الوقائية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 185، القاهرة، 2011، ص 24-26.
- ¹⁷ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية، المرجعية الدينية الوطنية: المالكية – الأشعرية – التصوف، مطبعة وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2022، ص 15-18.
- ¹⁸ زكرياء فحصي، الطرق الصوفية في إفريقيا: الامتدادات والتأثيرات، المركز الإفريقي للدراسات، الرباط، 2019، ص 87.

- ¹⁹ لخميسي بزاز، "تجربة الجزائر في مكافحة الإرهاب والمصالحة الوطنية"، مداخلة في الندوة العلمية حول الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ²⁰ أحمد بوطالب، "الدبلوماسية الدينية كأداة للقوة الناعمة في السياسة الخارجية الجزائرية"، مجلة الدراسات الإستراتيجية والأمنية، جامعة الجزائر 3، العدد 06، 2022، ص 88.
- ²¹ المجلس الإسلامي الأعلى، ندوة علمية حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ²² رقاب طارق، معاش قويدر، "دور الجماعات المحلية في التنمية المحلية في الجزائر"، مجلة الاقتصاد الدولي والعولمة، المجلد 6، العدد 1، 2023، ص 75.
- ²³ سعدية سلامة، "الدبلوماسية الدينية في السياسة الخارجية الجزائرية"، مداخلة في برنامج "نقاش"، إذاعة الجزائر الدولية، 2026.
- ²⁴ راضية ياسينة مزاني، "التحديات الأمنية في الساحل الإفريقي"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 3، 2019، ص 23.
- ²⁵ المجلس الإسلامي الأعلى، ندوة علمية حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ²⁶ نفس المرجع السابق.
- ²⁷ نفس المرجع السابق.
- ²⁸ نفس المرجع السابق.
- ²⁹ La Sentinelle, "La diplomatie religieuse comme levier stratégique: L'Algérie au cœur de la stabilisation du Sahel", 22 January 2026
- ³⁰ المجلس الإسلامي الأعلى، ندوة علمية حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ³¹ رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل، البيان الختامي للمؤتمر الثالث حول مكافحة التطرف والإرهاب في منطقة الساحل، الجزائر، 2021.
- ³² AL24 News, "LOPIS Commends Algeria's Pioneering Diplomatic Role", 27 August 2024.
- ³³ تقرير الأمم المتحدة، "جهود الوساطة في منطقة الساحل"، 2022.
- ³⁴ المجلس الإسلامي الأعلى، ندوة علمية حول "الدبلوماسية الدينية في الساحل الإفريقي: الإمكان والرهان"، الجزائر، 21 جانفي 2026.
- ³⁵ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تقرير حول التعاون الديني في إفريقيا، الجزائر، 2022.
- ³⁶ تقرير وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية، "المساعدات الإنسانية الجزائرية لدول الساحل"، 2024.